ثالثا-النظرية السوسيولوجية في مرحلة ما بعد الحداثة:

الحداثة وما بعد الحداثة:

أولا- مرحلة الحداثة:

تعتبر الحداثة مرحلة لمسيرة الفكر الغربي، والتي تمتد منذ عصر النهضة إلى نهاية الستينات تقريبا، ولتشهد في المرحلة اللاحقة مراجعة شاملة من طرف المفكرين والفلاسفة لفكر الحداثة الذي فسح الطريق لبعض الأفكار الجديدة، وسمح لها أن تطفو على سطح الواقع الثقافي، فمع نهاية البنيوية على وجه الخصوص، وظهور التفكيكية على انقاذها أصبح فكر الحداثة مثار نقد عنيف طال الأسس التي قام عليها بالأساس، فاسح المجال لأفكار جديدة جسدها ما بعد الحداثة.

حيث بدأت النقاشات والسجالات، الفكرية بين المفكرين في الغرب، نتيجة للتطورات التقنية و التكنولوجية وحتى المعرفية، هذه التطورات المذهلة التي غيرت من بنية المجتمع الغربي وملامحه، حتى أصبح يوصف بأوصاف جديدة: المجتمع ما بعد الصناعي، مجتمع الخدمات، المجتمع الاستهلاكي، مجتمع الشبكات ... إلخ، في نفس الوقت الذي طال فيه هذا النقاش الفكري الحداثة، التي بشرت منذ قرون بميلاد مجتمع جديد عقلاني ولصالح الإنسان وحريته، ولكن هذه الأهداف التي رسمتها الحداثة لنفسها لم تتحقق رغم التطور التكنولوجي المذهل، والذي أوصل الإنسان إلى القمر، ورغم التطور الكبير الذي عرفه المستوى الاقتصادي الذي عرفه العمال على وجه الخصوص، وقد شارك في هذا السجال الفكري- والذي دار خصوصا بين أنصار الحداثة ونقادها، حول صلاحية المشروع التنويري، وحول نهاية الإنسان أو حول مصداقية المثقف وجدوى المشاريع الايديولوجية، أو حول العقل والصدق والحقيقة ...، - علماء بارزون من أمثال ريمون آرون وجان بول سارتر، وميشال فوكو، و درورني من جهة، وهابرماس وتيري ابغلتون، وكريستوفرنوريس من جهة أخرى، الليبرالية الجديدة والنظام العالمي أو حول الطريق الثالث ونماذج التنمية والعولمة، كما ينخرط فيها مثقفون كتشومسكي، وبيار بورديو، وسمير أمين، وبنيامين باربر، و جون سيرل، وصادق جلال العظم، ومحمد عابد الجابري، من جهة أولى والفين توفلر، وفرانسيس فوكوياما، وأنطوني جيدنر، وتوماس فريدمان وراي كورزويل من جهة أخرى" .

وقد إنبثقت عدة مبادئ، هي بمثابة الأســـس التي تقوم عليها الحداثة، والملامح التي ترســـم صـــورتها النهائية، من حيث هي فكر وتوجه إيديولوجي تنويري، لتأتي حركية ما بعد الحداثة و تدمر هذه القواعد التي كانت تتأسس عليها الحداثة وهي:

- **النقد:** ويقوم على فرضيتين: الأولى: حتمية النقد، بمعنى أن طريق المعرفة اليقينية لا يمكن أن يتحصل عليها الإنسان إلا من خلال إعمال النقد ، وهذه الفرضية منبثقة من فكرة الشك المنهجي التي أعلنها ديكارت الملقب بـ أبي الحداثة. الثانية: شمول النقد، وهي تعني: أن كل شيء يقبل النقد ولو كان مقدسا، وذلك أن النقد في حد ذاته قيمة بغض النظر عن الغاية وطبيعة الموضوع، فحينها لا يكون للدين ولا للقيم والأخلاق حصانة من تسليط معاول النقد. وقد كانت النتيجة الحتمية لهذه الحتمية : الوقوع في قبضة الصيرورة النقدية الكاسحة والمدمرة، والتي لا تقف عند حد معين ولا تراعي المسلمات اليقينية، والعلوم الأولية الفطرية حتى إنتهى بها الأمر إلى ما يعيشه الآن الفكر الأوربي من تشرذم وتشظي، ومن ثم العدمية والفوضى واللاشيء، مما ينبئ بانهيار الحضارة الغربية .

- **التقدم:** وهو روح الحداثة ولبُها، ويشكل مفتاحا رئيسيا لحركة الحداثة، فبعد أن أصبح الإنسان سيد الكون، فلن يكون أمام خياراته حواجز، أو تقف أمام طموحاته عقبات، فخط التقدم لابد أن يسير قدما إلى الأمام بلا توقف، مادام أن رغبات الإنسان لا تتوقف وهذا المبدأ يقوم على فرضيتين. الأولى: أن التقدم قانون طبيعي، ولذا فهو حتمي، ليس للإنسان فيه إرادة، والمقصود بالتقدم هنا، التقدم الخطي للتاريخ، الذي يفترض أن الزمن الحالي أفضل من الزمن الماضي، وأن الزمن القادم بالضرورة أفضل من الزمن الحالي. وهذه الجبرية التقدمية هي في الأصل منبثقة من النظرية التطورية الداروينية، القائمة على فكرة التطور والارتقاء المستمر من خلال انتخاب الأنواع، وعليها يكون القديم ليس صالحا بالضرورة أيا كان ذلك الحديث، ولهذا كان التقدم المبدع في مفهوم الحداثة الغربية هو التقدم المنفصل عن كل الأفكار الموروثة مطلقا. الثانية: أن التقدم مقصود لذاته، فيكون غاية ومطلبا بغض النظر عن أهدافه ونتائجه، وتظهر هنا التبعية الفكرية في الخطاب الثقافي عند استخدام لكلمة التقدم ، فشعار: " هيا لنلحق بركب التقدم والمدنية" ، الذي أصم به دعاة التغريب آذننا خلال العقود الماضية، كان في واقع الأمر يقوم على أساس أن التقدم مقصود لذاته دون اعتبار الهدف والغاية.

- **العقلانية:** أي الثقة في قدرة العقل في تحقيق التطور والتقدم والتمييز بين ما ينفع الفرد والمجتمع، هو سلاح الإنسان في هذه الحياة لتحقيق سعادته ومستقبله الزاهر.

- **الفردية:** حيث أصبح الفرد هو محور كل برنامج أو مشروع يتبناه المجتمع/ والفردية تعني حرية الفرد في الحياة والاختبار، إذ يقال دوما أن المشروع الغربي قام على معادلة ثلاثية وهي الفرد – الحرية- الدولة، فالفرد هنا نظر إليه على أساس أنه منطلق كل عمل تنموي أو تحديثي.

- الإيمان بفكرة التقدم الإنساني وأن البشرية تسير وتتقدم وفق خط تصاعدي.

- حتمية التاريخ وأنه يسير في خط مستقيم ولا يتراجع إلى الوراء.

- الإيمان بالعلم الطبيعي.

- التمييز المطلق بين الذات والموضوع".

ثانيا: ما بعد الحداثة:

تعتبر ما بعد الحداثة؛ نظرية من النظريات السوسيولوجية التي إستقطبت العديد من المتخصصين في العلوم الاجتماعية، بعد أن تعرضت النظريات السوسيولوجية الأخرى لكثير من النقد في فترة الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين. وبالطبع فإن نظرية ما بعد الحداثة لم تظهر من فراغ، بقدر ما جاءت نتيجة لإرهاصات فكرية متعددة، ولتعبر عن كثير من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتكنولوجية، ولتنشر مرحلة جديدة من مراحل تطور الفكر الاجتماعي، حرص فيها العقل الإنساني على ضرورة تحديث أساليب وأنماط التحليل النظري والمنهجي.

1- تعريف ما بعد الحداثة:

تعتبر ما بعد الحداثة نظرية معاصرة؛ جاءت لتقييم وإنتقاد النظريات السوسيولوجية الأخرى، فهي بمثابة نظرية ذات طابع نقدي، كما تحاول أن تعيد تفسير الواقع الاجتماعي وأنساق الفكر الإنساني، وتهدف إلى البحث عن أسس جديدة لتفسير المعرفة الإنسانية، وإلى أي حد أصبحت هذه

المعرفة ذات طابع عالمي؟، وما هي مواطن الضعف والقوة التي إرتبطت بهذه المعرفة، ولاسيما إرتباطها بالعقلانية والواقعية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن نميز نظرية ما بعد الحداثة في ضوء رفضها الكثير من الإفتراضات والمقولات، وخاصة تلك النظريات التي أيدت فكرة التماسك، والتضامن والتوازن الاجتماعي، وتأييدها لنظريات التي تؤدي أفكار حديثة، ومنظورة مثل العلاقات السببية والتعددية والحتمية، وتقوم أيضا على نقد النظريات التي تقوم بتوحيد الموضوعات ومجالاتها الخاصة، باعتمادها على التصورات المركزية أو اشتماله، وتحرص على تجزئة الموضوعات وجعلها أفكار لا مركزية، وتفسريها في إطارها الاجتماعي واللغوي، وبوصف الحركات والحقائق الفنية التي تحدث في المجال الثقافي، والتي يتم تحليلها في ضوء التغيرات والممارسات التي تحدث في المجتمع بصورة مستمرة .

2- السياق الذي ظهرت فيه ما بعد الحداثة:

ارتبطت ما بعد الحداثة في بعدها التاريخي والمرجعي والسياقي، بتطور الرأسمالية الغربية ما بعد الحداثة اجتماعيا واقتصاديا، وسياسيا، وثقافيا، كما ارتبطت ارتباطا وثيقا بتطور وسائل الإعلام. كما جاءت ما بعد الحداثة كرد فعل على البنيوية اللسانية، والمقولات المركزية الغربية التي تحيل على الهيمنة والسيطرة والاستغلال والاستلاب، كما استهدفت ما بعد الحداثة تقويض الفلسفة الغربية، وتعرية المؤسسات الرأسمالية التي تتحكم في العالم، وتحتكر وسائل الإنتاج، وتمتلك المعرفة العلمية. كما عملت ما بعد الحداثة على انتقاد اللوغوس، والمنطق عبر آليات لتشكيك والتشتيت والتشريح والتفكيك.

هذا، وقد ظهرت ما بعد الحداثة في ظروف سياسية معقدة، وذلك بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية، وخاصة في سياق الحرب الباردة، وإنتشار التسلح النووي، وإعلان ميلاد حقوق العالمية الثانية، وظهور مسرح اللامعقول (صمويل بيكيت، أداموف، ويونيسكو، وأربال ...)، وظهور الفلسفات اللاعقلانية كالسريالية، والوجودية، والفرويدية، والعبثية، والعدمية ...وقد كانت التفكيكية معبرا رئيسا للانتقال من مرحلة الحداثة.ومن ثم، فقد كانت ما بعد الحداثة مفهوما مناقضا ومدلولا مضادا للحداثة. ولذلك:" احتفلت ما بعد الحداثة بأنموذج التشظي والتشتيت واللاتقرية كمقابل لشموليات الحداثة وثوابتها، وزعزعت الثقة بالأنموذج الكوني، وبالخطية التقديمية، وبعلاقة النتيجة بأسبابها، حاربت العقل والعقلانية، ودعت إلى خلق أساطير جديدة تتناسب مع مفاهيمها التي ترفض النماذج المتعالية، وتضع محلها الضرورات الروحة، وضرورة قبول التغيير المستمر، وتبجيل اللحظة الحاضرة المعاشة. كما رفضت الفصل بين الحياة والفن، حتى أدب ما بعد لحداثة ونظرياتها تأبى التأويل، وتحارب المعاني الثابتة" .

هذا، وقد ظهرت ما بعد الحداثة أولا في مجال التشكيل والرسم والعمارة والهندسة المدنية، قبل أن تنتقل إلى الفلسفة والأدب والفن والتكنولوجيا وباقي العلوم والمعارف الإنسانية. ولا يمكن الحديث عن ما بعد حداثة واحدة، بل هناك ما بعد حداثة عامة وما بعد حداثات فرعية. وقد غزت نظرية ما بعد الحداثة جميع الفروع المعرفية، كالأدب، والنقد، والفن، والفلسفة، والأخلاق، والتربية ، علم الاجتماع، والأنتروبولوجيا، وعلم الثقافة، والاقتصاد، والسياسية، والعمارة، والتشكيل.

3- مرتكزات ما بعد الحداثة:

لا يعترف مفكري ما بعد الحداثة؛ بالمبادئ التي قامت عليها الحداثة، ويشككون في قدرتها الآن عن تحقيق سعادة الفرد وحريته، لهذا فهم ينادون بأفكار تناقضها، وكما يقول فرانسوا ليوتار أحد

أبرز دعاتها " أن المعرفة تغير موقعها في نفس الوقت، الذي تدخل فيه المجتمعات إلى عصر الما بعد الصناعي والثقافات إلى مرحلة الحداثة، وهذا الانتقال قد بدا على الأقل منذ نهاية الخمسينات.

فإذا كانت الحداثة قامت على فصل **الذات** عن الموضوع وأعلاء شأن الذات الفردية، فإن ما بعد الحداثة تشكك في هذا الأمر، وتذهب إلى أن هذه الذات هي من إختراع الحداثة، وليست هي من الماضي فقط، كما يذهب البعض بل هي أسطورة لم توجد في الأصل، لم تكن ثمة ذوات مستقلة من ذلك النمط على الإطلاق، فما هذا البنيان إلا خرافة فلسفية وثقافية دأبت على إقناع الناس بأنهم كانوا ذوي ذوات فردية، وكانوا يمتلكون هذه الهوية الشخصية الفريدة، وهي بذلك تنزع عن الفرد ذلك الدور المركزي الذي لعبته في السابق، وبإعتبار الفرد قادرا وفاعلا يستطيع الإختيار، مع أنه في الواقع ليس سوى عنصر يخضع لواقع النسق الاقتصادي والسياسي والثقافي على وجوده.

أما في قضية **التاريخ** فإن ما بعد الحداثة لا تنظر إلى التاريخ بوصفه يسير وفق خط مستقيم، فالتاريخ وفق هذه النظرة الجديدة مفتوح على كل الاحتمالات ويخضع لتقلبات عديدة ولانقطاعات، وإذا كان هذا حال التاريخ فإنه لم تعد له تلك القيمة التي كانت في السابق، " فالتاريخ بالنسبة لهذا التيار هو مجال للأساطير والأيديولوجيات والتميز، التاريخ اختراع للأمم الغربية الحديثة قم بدوره في قمع شعوب العالم الثالث والمنتمين لحضارات أخرى عريقة ، وما ترفضه الحداثة – كما يقول ايغلتون – ليس التاريخ history بل التاريخ history أي فكرة وجود كيان يدعى التاريخ يمتلك معنى وقصد . وكما رفضت مفهوم الذات والعقلانية والتاريخ، رفضت كذلك مفهوم الزمن الذي أخذ عندهم مفهوم مغايرا، فهو بالنسبة لهم يتسم بعدم الاتصال والفوضوية. أما فيما يخص النظرية وطالما أنها أعلنت عن موت السرديات الكبرى والأنساق الفكرية امتلاك الحقيقة، لقد ولى زمن الحقائق المطلقة واليقينيات".

وبخصوص قضية **الحقيقة**، فلقد ارتكز الفكر في علاقته الشائكة بالوجود على محاولة إقرار الحقيقة الدائمة النهائية، لذلك اتجه العصر الكلاسيكي إلى العقل وصرامته، ليبين لنا كيف تتجلى الحقيقة. وجاءت فلسفة الطريقة (عند ديكارت وعند لايبنيتز) استتباعا لذلك ثم كيف يمكن للخطأ أن يوجد في عالمهم يهيمن عليه العقل . فكان لا بد من إرساء قواعد للخطاب العلمي لكي تتجلى لنا حقيقة الأشياء، وكان لا بد من الإبتعاد عن الذاتية لتأسس القول من خلال آلياتنها التي إتبعها العقل في عملية إقصائه للخيال واللامتجانس.

ولكن فوكو معتمدا على نيتشه وهايدغير قد بين أن هذه المعايير ترتبط في آخر الأمر بمختلف مظهرات السلطة والياتها ومؤسساتها. معنى ذلك أن الحقيقة لم تعد مجردة رغم فلسفة التاريخ الهيجلية والماركسية التي تؤكد على انتصار المعنى والعقل في نهاية التاريخ. للحقيقة وجه آخر لم يحاول الفلاسفة قبل نيتشه إظهاره، هو وجه العنف والاستبعاد والإقصاء ، كإقصاء المخيلة ونتائجها والإبداع ومآربه. فالحقيقة حقائق، وهي ابنة القول والخطاب واطلاقيتها محددة في الزمن، وقد تصور فكر ما بعد الحداثة أن الحقيقة لعبة لا غير، يكون المراد منها الإبقاء على سلطة الأنساق الكبرى ضد الإنسان الفرد لكبت رغباته، وتحويله إلى آلة تحت تحكمها.

أما عن قضية **الوحدة** فإن مركزية الذات وضرورة الحقيقة المطلقة، قد عالجتا قضية وحدة الوجود بمنطق يتضمن الوصول إلى توحيد كل مجالات الفكر والعمل. لا نتحدث عن وحدة العقل فقط، ولا عن وحدة المصير، بل عن تلك الوحدة الانطولوجية التي ما انفكت الفلسفة ابتداء من بارمنيدس إلى ديكارت وكانط، تؤكدها وتبحث عن معطياتها ومقوماتها. وقد أدت فلسفة التنوع إلى

تحديث أعماق أنماط الحياة في المجتمعات الغربية التي أصبحت اليوم متعددة ذات اتجاهات مختلفة في وفرة الخيارات والمعارف والاتجاهات. وفي حقيقة الأمر قد اختلطت في هذه الأنماط التي اتسمت بها فترة ما بعد الحداثة متاهات الذاكرة البعيدة والقريبة وتصورات المستقبل وخيالاته، دخل بذلك الغرب عهد التظاهري الخيالي، عهد تجاوز معطيات الواقع بالخيال الفني الخصب.

في حقيقة الأمر، كان هذا التنوع حيويا في تكريس حرية الفرد الأنطولوجية والسياسية والاجتماعية، ولم يكن هذا التكريس آليا بل جاء بعد نضال مستمر. وقد أدى أحيانا تحرير الأنا إلى أقصاه، عندما إضمحلت القيم الأخلاقية والروحية والاجتماعية، ودخل الأنا حقل صراعات، جعلها تفقد شيئا فشيئا حريتها، فكانت أولا سجينة اللذة والرغبة (تحرير الجنسانية)، ثم سجينة الاستهلاك والرفاهية، وأخيرا سجينة الأنساق الاجتماعية الكبرى، كالمؤسسات الإعلامية والشركات متعددة الجنسيات والدولة وغيرها. والعولمة تكمن في القبض على تلابيب الفرد أينما كان، لتحوله إلى عبد يستهلك إنتاجياتها الرمزية والمادية والروحية والمعنوية. وبذلك عادت الوحدة من جديد لتهيمن بمنطق أشد إقصاء وأكثر استبدادا، وتجسدت هذه الوحدة في انصياع الكل إلى مقولات الولايات المتحدة الأمريكية، التي أصبحت بالنسبة إلى الغرب هي الحق وهي الذات وهي الواحد. فكأن حركة العلمانية التي قامت بها المعقولية الغربية منذ ديكارت إلى يومنا هذا قد عوضت وظيفة الدين والرمز في المجتمع بوظيفة السلطة القهرية الرأسمالية الأمريكية. والى جانب هذا فإن ما بعد الحداثة تهتم ببعض المسائل الإمبريقية الأساسية أهمها:

- هل تمثل مابعد الحداثة فترة يكون فيها ثمن التقدم- أي التدمير البيئي-أكثر أهمية من تحقيق مزيد من التقدم المادي؟.

- هل حلت قضايا الثقافة المعرفية كل القضايا الاقتصادية والمادية، كأحد الملامح المميزة لمجتمع مابعد الحداثة؟.

- هل حدثت العولمة بالفعل، أي هل يوجد رأي حاسم في ماهية قوى الاتصال التي أنتجت مجتمعا كونيا؟.

- هل تضاءلت أهمية المسائل الطبقية مقارنة بمسائل النوع الاجتماعي، السلالة/العرق، الجنسية وغيرها من الأسس الأخرى للهوية؟.

- هل أضحى الفراغ/ الاستهلاك أكثر أهمية من العمل/ الإنتاج؟

" لقد تركت هذه الأفكار الجديدة جدلا كبيرا بين المفكرين والعلماء في مختلف التخصصات، وخاصة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية الذين لم يتقبلوا أفكار هذا التوجه الفكري الجديد، وأعلنوا منذ بداية رفضهم القاطع لأفكارها وأطروحتها، حيث يرفض **ألآن تورين** عالم الاجتماع الفرنسي، وصاحب الاتجاه الذي يطلق عليه اتجاه الفعل أو علم الاجتماع الدينامي تيار ما بعد الحداثة من أساسه، ويدعو إلى إعادة تعريف الحداثة من جديد وتخليصها مما لحق بها، إذ قام تورين بإعادة الاعتبار للحداثة رغم نقده لها، ولكن هذا النقد لا يعني التخلي عنها لصالح تيار ما بعد الحداثة، وهو من خلال الطرح يريد إعادة الاعتبار للذات والعقلانية اللتين حوربتا من قبل مفكري ما بعد الحداثة، فالذات التي كانت محل نقد عنيف، هي – حسب آلان تورين- القادرة على جبر شضايا الحداثة التي انقسمت، ولكن الذات وحدها لا يمكن أن تحقق وحدها هذه المهمة إذ يجب أن تقترن وتتحد مع العقل

" فمن جانب يبعث العقل الأداتي الحياة في مجتمعها مجتمع الإنتاج والإستهلاك والمؤسسة الإنتاجية والأسواق، ومن جانب آخر مجتمعنا مسكون بالرغبة الفردية والذاكرة الجمعية، فالحوار بين الذات والعقل لا على أحدهما فقط هو الكفيل بإعادة الحداثة إلى طريقها الصحيح، فبدون العقل تنغلق الذات في هوس هويتها وبدون الذات يصير العقل أداة للقوة، عرفنا في هذا القرن ديكتاتورية العقل والانحرافات الشمولية للذات. حداثية والتي كما يقول آلان تورين يجول شبحها في كل مكان، وبهذا فقط يمكن إعادة الاعتبار للحداثة التي شككت فيها ما بعد الحداثة.

كما يعد **يورغن هابرماس** من أكثر المفكرين نقدا لما بعد الحداثة، حيث اختلف هابرماس مع مفكري ما بعد الحداثة معتبر إياهم يمثلون تيارا مناهضا للحداثة، ومع أنه من أشد نقاد الحداثة في صيغتها الغربية، مؤكدا بأن الحداثة مازالت مشروع لم يتم إنجازه بعد وهو يحتاج إلى نقد، بل أن هذا النقد يعتبر ضروري لتحقيق الحداثة المرجوة بمفهوم هابرماس، والتي تقوم على التفاهم والتواصل والإجماع والمناقشة والخطاب البرهاني، أو بما أسماه بالعقل التواصلي في مقابل العقل الآداتي الذي ثبت عجزه وفشله. فهابرماس يعتقد أن الحداثة، يجب أن تنتقد من داخلها وليس رفضها كلية كما يذهب إلى ذلك مفكروا ما بعد الحداثة، الذين يصفهم بأنهم يمثلون نوعا من النزعة الفوضوية ذات العمق المحافظ. أن هابرماس في كل كتاباته يؤكد على أنه بالرغم من بعض النتائج التراجيدية التي ولدتها العقلانية التقنية، فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال التخلي عن العقل أو الدعوة إلى التخلص منه، العقل بشكل الأداة المشتركة التي تستعملها أكثر الأنساق الفلسفية، بهدف التفكير في الكائن وتفسير مختلف أنواع التجارب. وبهذا فإن هابرماس يرفض رفضا مطلقا اتجاه ما بعد الحداثة ويعتبره مسلكا لن يؤدي إلى نتيجة تذكر، فهو محكوم عليه بالفشل مسبقا. فنقد الحداثة لا يعني التخلي عنها وحل محلها اتجاه آخر، غاية ما في الأمر هو تصحيح مسارها حتى يستعيد العقل دوره الحقيقي، ويتحول من عقل أداتي إلى عقل تواصلي.

ويبدو من خلال هذا النقاش الساخن بين المفكرين والعلماء، أن ما بعد الحداثة بدأت تفرض نفسها بقوة على الساحة الفكرية، رغم ما يوجه إليها من الإنتقادات التي كما يبدو لنا أنها صادرة إنطلاقا من مواقف أيديولوجية وسياسية أكثر منها مواقف مؤسسة علميا، ورغم كل هذه الانتقادات والتحفظات على كثير من أفكارها فهي من دون شك فرضت نفسها بقوة وخاصة في مجال العلوم الاجتماعية ، وهذا ما يبينه بعض منظري ما بعد الحداثة، فيما يلي:

4- بعض منظري ما بعد الحداثة:

*** جان بودريار والتحول نحو ما بعد الحداثة :** يعتبر بودريار من أبرز منظري ما بعد الحداثة، فهو يرى أن وسائل الإتصال الإلكترونية، قد دمرت العلاقة التي تربطنا بماضينا، وخلفت حولنا عالم من الخواء والفوضى، فما يؤثر في حياتنا الاجتماعية؛ هو الصور والإشارات التي تتدفق بما فيها المعاني والدلالات على نحو ما نشاهده في التلفاز، حتى أن الجانب الأكبر من عالمنا قد غدا يمثل كونا موهوما مصطنعا، نستجيب له وتتفاعل مع صورة إعلامية لا مع أشخاص وأحداث وأمكنة واقعية، فقد غدونا نتأثر بالمشاهد التي تعرض علينا عن الأحداث والمشكلات ... أكثر بكثير من تأثرنا بالمضمون الحقيقي لهذه الوقائع.

ويرى أن المجتمع الحديث كما في الرأسمالية الإستهلاكية، ليعود مرة أخرى لمحاكاة المحاكاة كما في مجتمع ما بعد الحداثة، ويطلق على أرائه نظرية الهلاك التي تعتبر عن أزمة المجتمعات الحديثة، التي تعاني من الكثير من مظاهر الهلاك التي تتمثل في الكوارث الطبيعية وإنتشار الأمراض مثل الإيدز وغيره، مما أفقدنا صلتنا بالعالم الأصلي، وفي السياق نفسه يستخدم جيمسون مفهوم

المحاكاة، للإشارة إلى أن كل ما نحصل عليه هو العالم الحديث، قد وقع أسير العلامات أو النسخ عن النسخ بطريقة تفقده أي إتصال بالعالم الخارجي وهذا ما ينطبق علينا، كما يذهب - كريب- فالجانب الكبير مما يتعايش عليه يأتي من التفكير والكتابة والتحدث عن أراء الآخرين، أي استنساخ ما نسخه مفكرون آخرون عما استنسخه آخرون. مما أدى إلى أن يفقد الناس التصور الحقيقي للعالم الذي يعيشون فيه .

* **ديفيد هارفي:** في كتابه حال ما بعد الحداثة؛ يرى في ما بعد الحداثة تغيرا حقيقيا على مستوى من مستويات التشكل الاجتماعي، وهذا التغير وليد تطورات جرت على مستوى أعمق من النسق نفسه. ويغزو " هارفي" التغيرات الاقتصادية والثقافية إلى كونها استجابات لأزمات الرأسمالية التقليدية، أزمة زيادة الإنتاج أو ما يدعوه بأزمة التكديس المفرط التي ينظر إليها حسب النظرية الماركسية، باعتبارها وليدة للتناقض القائم بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، ويفسر هذه الإستجابة بالتغير الحاصل في بنية رأس المال، حيث أصبح رأس المال المخصص للتمويل أكثر مرونة من رأس المال المخصص للصناعة، مما جعله يلعب دورا مهيمنا، وإنتقل نظام الإنتاج من نمط ما يعرف بالفوردية إلى نمط جديد ما بعد الفوردية، وهذا التحول له مظاهر من أبرزها التغير في تنظيم العمالة بعيدا عن النموذج الرتيب، والخاضع للتنظيم العالي والسيطرة الدقيقة، أي بعيدا عن أفكار " فورد". أما الشكل الجديد للإنتاج، فيتميز بالمحدودية والمرونة في المهارات، حيث أصبح التحرر من القيود الاقتصادية والتوجه نحو الخصخصة. ولتلك العملية تأثيرها في خبرتنا المتصلة بالزمان والمكان، ويصبح التكديس مرحلة محمومة من ضغط المكان والزمان، كما يتضمن إنتاجا لدفعات من الكميات الصغيرة ومعدلا سريعا لتدوير رأس المال، وتسريعا للعمل وتغييرا متسارعا في ما يعرف من موضات في الأسواق، والتركيز على توفير الخدمات الإستهلاكية التي تستنفذ في الحال، وكل هذه التطورات تجعل الأشياء في عالمنا تتغير بصورة سريعة وتبدوا زائلة، وفي الوقت ذاته حطمت وسائل الإتصال الحديثة الحواجز المكانية، فكانت نتيجة هذه العملية هي التفتيت وعدم الأمان، والتطور المتقلب سريع الزوال في إقتصاد عالمي يقوم على إنتقال رؤوس الأموال. ويعلق " هارفي" على تزايد الطبيعة الشبحية للنقود ذاتها التي تسارعت حدتها، فإني لا أرى إلا جزءا يسيرا من راتبي على شكل نقد فعلي، فمعظمه يمر بين يدي على شكل شبكات متزايدة على شكل بطاقات إئتمان، أو ودريقات حملت إمضائي منذ أن قمت على سبيل المثال بشراء منزل بالتقسيط، وتتجاوز العملية ذلك إلى أن تخفيض قيمة العملة عن طريق التضخم، يعني أنه لم يعد النقد أمرا موثوق فيه للحفاظ على القيمة، فهذه الظاهرة تمثل أزمة تمثيل أي أزمة في قدرة النقود على تمثيل القيمة.

* **سكوت لاش وسوسيولوجيا ما بعد الحداثة:** يرى " لاش" في كتاب علم الاجتماع ما بعد الحداثة، أن حركة ما بعد الحداثة تنطوي على قلب لنمط تطور الحداثة القائم على التمايز، وزيادة إستقلال مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، التي تولدت بفعل تطور طبقات جديدة: طبقة متوسطة لمجتمعات ما بعد الصناعية القائمة على قاعدة ثقافية رأسمالية، وكذلك فإن المجال الثقافي لهذه الطبقات المتوسطة في توسيع إلى درجة أنه حطم الحواجز التي كانت تحتويه ضمن حدود معلومة. ويرى إمكانية طرح الأفكار والتصورات المرتبطة بالحداثة، في إطار نظرية سوسيولوجية معاصرة تكون بديلا عن النظريات التقليدية، تستند على ثلاث مقومات:

- **فكرة التغيير الثقافي:** بإعتبار أن عملية التحديث ما هي إلا عملية تعكس التباين والاختلاف الثقافي، بينما تهتم نظرية ما بعد الحداثة بدراسة هذا التباين والإختلاف الثقافي. - **فكرة النمط الثقافي:** تمثل الحداثة حصيلة عملية التكوين الثقافي، أما بعد الحداثة فإنها تعالج عناصر أو مكونات الثقافة. - **فكرة الحراك الاجتماعي:** بإعتبار أن هذه العملية ما هي إلا المنتج الخاص بعملية الحداثة، وذلك لإرتباطها

بالأفراد أو الجمهور الثقافي، أما ثقافة ما بعد الحداثة فإنها تتميز بخصائص وسمات متنوعة بصورة كبيرة خلال مرحلة ما بعد الحداثة. إن تصورات " لاش" ركزت بصورة أساسية على البعد الثقافي، ومحاولته التمييز بين الحداثة وما بعد الحداثة، كما حاول أن يحتم أفكاره، بمناقشة قضية الهوية البرجوازية، ونوعية الطبقات الاجتماعية الناتجة عن التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.

- **ليوتار وتفسير فكرة ما بعد الحداثة:** لقد فسر ليوتار فكرة ما بعد الحداثة من خلال فكره تعددية الثقافية والادبية واتخاذ موقف العدائية من ظهور نظريةموحدة، حيث يرى ان كل معرفه تأتي الينا سواء جاءت بصوره سردية قصصية او مرجعية في انها تشير الى اشياء موحده في العالم الخارجي، ولذا لا يمكن فهم هذه الاشياء الا عن طريق استعانة بهذه القصص، ولقد حاول التأكيد على ذلك للرد على بعض اصحاب نظريه ما بعد الحداثة الذين يشككون في وجود اي سرد قصصي او مرجعي تتعلق بدراسة المعارف والاشياء التي توجد في العالم الخارجي ولكن ليوتار يرى ضرورة وجود السرد المرجعي لضمان وصول الحقيقة او المعرفة الى الانسان.
حيث ان هذا السرد يعتبر المقياس المرجعي للحقيقة ذاتها، فلابد مثلا ان يكون لدينا مقاييس للجمال والاخلاق والخير وما الى ذلك حتى نصل اليها والى حقيقة كل منها، ولذا فان السرد المرجعي يهدف الى بقاء الاشياء والحقائق مجتمعه، وهذا ما يجعلنا امام شبكه معقده متمايزة من الالعاب اللغة تلك الشبكة التي تتحرك في مجالها ونطاقها العام، كما تسمح لنا بالتحرك في اطارها حسب قواعدها وقدراتها.
كما تعكس اراء ليوتار حول سوسيولوجيا ما بعد الحداثة من خلال تركيزه على اللغة والمعرفة والادب وهذا ما سعى لتحليله بصوره خاصه في اشارته لظاهره ثوره المعلومات او حاسوبيه معرفه والتي من خلالها يمكن استخدام المعرفة لدراسة البناءات والنظم الاجتماعية، وهذا ما ظهر بالفعل في افكاره عن لعبه وقواعد اللغة وعلاقتها بتنظيم النسق الابستيمولوجي الخارجي، وعموما سعى ليوتار لطرح هذه الفكرة محاولا ان تصبح في مكان نظريه الانساق الاجتماعية.
وان كان ليوتار يحاول ان يصف ما حدث للمعرفة وكيف اصبحت نتاجا رأسماليا لا يمكن تحديد قيمتها الا من خلال فائدتها النفعية ولذا تتم صناعه المعرفة واصبحت منتجات جاهزة كأنها سلعه رأسمالية أخرى، لقد حرس ليوتار ليوضع نظريه سوسيولوجية لما بعد الحداثة تقوم على دراسة اللغة والمعرفة واعتبارها محكا ومقياسا لتحليل ظروف مجتمع ما بعد الحداثة الا ان افكاره الميتافيزيقية والفلسفية قد حاله دون تحقيق ذلك، وهذا ما يمكن وصف نظريته على انها نظريه المعرفة لما بعد الحداثة.

- **ميزليس والنظرية التركيبيةالسوسيولوجية** التي جاءت لتوجيه البحث الاجتماعي سواء النظري أو الامبريقي تجاه النظرية السوسيولوجية بعد ان انتقدت النظرية الاجتماعية اطارها التنظيري والتصوري كلية. كما تؤكد النظرية التركيبية على ضرورة مواجهة المشكلات ومحاولتها لوضع اطار للعمل التصوري لإعادة تحليل وتركيب القضايا والمشكلات والأفكار السوسيولوجية من منظور يتفق حوله علماء الاجتماع لتأكيد على أهمية العودة الى النظرية السوسيولوجيا محاولات ميزلس تعتبر من المحاولات التي يمكن أن نطلق عليها ما بعد الوظيفية او ما يعرف بالوظيفية المعاصرة التي تعمل على تركيب او توليف نظري يضم العديد من النظريات لدراسة الواقع.

- **أنطوني غيدنز ونظرية التشكيل الاجتماعي**: سعى انطوني غيدنز الى فكرة تكامل النظريات طويلة المدى وقصيرة المدى، وهذا ما ظهر في نظريته عن التشكيل الاجتماعي التي تؤكد على ضرورة ان ينظر علم الاجتماع ونظرياته المختلفة لما يسمى بثنائيه البنية وضرورة الجمع بين

البناء والفعل باعتبارهما اساس المجتمع. حيث بين ان مفهوم البناء يشمل مجموعة القواعد والمصادر التي تفهم بها سمات ومظاهر الحياة الاجتماعية، والتي تتغلغل في جميع مكونات الفعل والنشاط الاجتماعي ككل، وعليه فان مفهوم البناء يشير الى القواعد المتضمنة في هذا النشاط، لان البناء يتضمن الفعل، والفعل هو الممارسات الاجتماعية التي تشمل قواعد البناء.

وعليه لابد لعالم الاجتماع ان يتجاوز التمييز بين البناء والفعل الاجتماعي لأنهما وجهتين لعملةواحدة، فالبناء والفعل هما الوجهتين الاساسيتين التي يتكون منها المجتمع. وهي جوهر فكره التشكل الاجتماعي اي الجمع بين البناء والفعل عند دراسة المجتمع ككل، والبناء والفعل هو ثنائيه او ازدواجية البنية، حيث يعكس مفهوم التشكل الكثير من العمليات المكونة للفعل والتفاعل التي تهتم في البناء واعادة البناء وتفسير العلاقة بين الفعل والبناء سيتم من خلال العلاقة المقيدة والعلاقة القادرة والتي تظهر اثناء عمليه التشكيل وخصائصها العامة التي تفسر العلاقة المتبادلة بين الفعل والبناء، والتي تقوم على القواعد والمصادر باعتبارهما أساس التشكيل الاجتماعي التي تعمل على إنتاج واعادة انتاج الفعل الاجتماعي وهما يفسران في نفس الوقت او يعتبران في نفس الوقت وسائل نسق اعادة الإنتاج، وهذا ما يعني ازدواجيه او ثنائية البنية. فالبناء يتكون من انماط منظمة من القواعد والمصادر والتي يستخدمها الفاعلون من اجل اعاده انتاج البناء، ولابد من تحليل القواعد والمصادر في إطار الزمان والمكان في الواقع الاجتماعي، مبينا ان هناك انماط مكونة من البناء وهي:

1- المعنى والدلالة وتعني الانماط الرمزية مثل اللغة التي تعمل على اعاده انتاج انساق القواعد والرموز.
2- السيطرة وتعني العملية التي تنظم جميع انواع النشاط الانساني عن طريق الضبط وانماط الفعل النظامية.
3- الشرعية وتظهر وتبرز المظهر المعياري ومعتقدات للإنسان للأنساق الاجتماعية التي تتفاعل بها في الواقع.

5- تقييم لما بعد الحداثة:

- ركز كثيرا من أراء أنصار ما بعد الحداثة، على تبني العديد من المنظورات التحليلية المتصارعة، كما جاءت تصوراتهم ذات طابع طبقي من الدرجة الأولى، كما جاءت نظرية ما بعد الحداثة بصورة عامة في تحليلاتها للظواهر الاجتماعية، من خلال تبنيها للعديد من المنظورات الثقافية غير المترابطة أو المتجانسة.

- حاولت نظرية ما بعد الحداثة أن تفسر الواقع الاجتماعي، ولاسيما مرحلة ما بعد الحداثة من خلال تركيزها فقط على دراسة المراحل الحديثة من مرحلة الرأسمالية الغربية، وهذا ما جاء في تنوع مداخلها التحليلية لدراسة الظواهر الاقتصادية، والتكنولوجية والثقافية والسياسية والاجتماعية، ولكن نظرية ما بعد الحداثة لم نستطيع أن تحلل العلاقات المتداخلة بين هذه الظواهر، أو معرفة الأسباب الحقيقة التي أدت إلى مرحلة ما بعد الحداثة ذاتها.

- إتسمت تحليلات الكثير من علماء ما بعد الحداثة، بأنها تتسم بالمغالاة في تبنيها للمدخل الثقافي، ولهذا لم تعط إهتماما أكثر إلى دراسة الظاهرة والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الواقعية.

- جاءت أراء أصحاب نظرية ما بعد الحداثة، ولاسيما تلك الأراء التي ظهرت ما بعد السبعينات والثمانينات متسمة بالطابع الميتافيزيقي والفلسفي المجرد، وهذا ما جعل تحليلها للأفكار غامضا ومبهما ومجزئا، وهذا ما جاء في هذه الأفكار وجعل تحليلها مرتبطا بالتصورات الميتافيريقية والخيالية، والتي بعدت كثيرا عن التحليل السوسيولوجي الواقعي لمجتمع ما بعد الحداثة وهذا ما وجه إليها إنتقادات. عموما تعتبر نظرية ما بعد الحداثة، نظرية اجتماعية تبين الكثير من المداخل الإبستمولوجية والميتافيزيقية .

6- الفرق بين الحداثة وما بعد الحداثة :

الحداثة	**ما بعد الحداثة (أو الحداثة المتأخرة)**
الإيمان بالعلم / العقل	الإنعكاسات (الوعي النقدي، المتزايد) تميز ما بعد الحداثة، أي الإهتمام بالآثار المدمرة للعلم التطبيقي والبيئة والإنسانية، ويمتد الإهتمام إلى المستوى الكوني (إرتفاع درجة حرارة الأرض على سبيل المثال) بالإضافة إلى المستويات الأخرى.
الإيمان بالتقدم الاجتماعي	الوعي المتنامي بالمخاطر والآثار العكسية غير المقصودة لمسيرة التقدم مثلا (التلوث الناتج عن السيارات).
ظهور القومية والنظر إلى الدولة القومية بإعتبارها هي حدود المجتمع.	حدوث عملية العولمة وتزايد تصدع الدولة القومية للمجتمع، بفعل العوامل الكونية: الاقتصادية، الثقافية، السياسية.
التأكيد على الإنتاج/ التنمية الاقتصادية.	تزايد أهمية ما هو ثقافي: تبادل المعلومات الثقافية.
السياسة، والحكومة، والدولة هم أساس المجتمع.	الشك في السياسة / الحكومة التقليدية. تنامي سياسة الحياة، أي ربط الشخصي والعالم كما في الحركات الاجتماعية مثل: النسوية والنزعة البيئية.
الإتجاه إلى رؤية العالم في سياق ثنائيات أو شيئين متعارضين، مثلا: الموضوعي / الذات، ذكور، إناث، (أعداد متعارضة).	الإتجاه إلى رؤية الترابط والتشابه والتوحد، مثلا: الذاتي والموضوعي لا ينفصلان.
النظر إلى الطبيعة على أنه أمر مسلم به.	تزايد الإحساس القوى بالمسؤولية عن الطبيعة/ البيئة.